المسيرة العظمى للإنسان
وكيف تم إعمار الكرة الأرضية
(مجلة Nature، عدد خاص 02 ماي 2012)*

تعريب : موسى زمولي

مقدمة المترجم :

منذ قرون خلت ظل علماء الأجناس وعلماء الآثار والحفريات وعلماء كل الفروع المعرفية الأخرى محتارين في سر وجود الكون والإنسان وخاصة انتشار هذا الأخير في القارات الخمس. وإلى شهور قليلة كان الاعتقاد السائد لدى الباحثين بأنه وجدت مجموعات من الإنسان العاقل في شرق إفريقيا ووادي شبه الجزيرة العربية المنطقة المعروفة بالأخدود الإفريقي (Rift valley)، كما توصف بمهد الإنسانية. وبقت عالقة في ذهن الجميع صورة حثية السيدة «لوسي» التي مشت على أرض الحبشة قبل ما يزيد عن 2.5 مليون سنة. ثم وجد علماء الحفريات بقايا إنسان عاقل في فلسطين وفي أوروبا سمي بالنياندرطال (Neandertals) وإنسان جاوة باندونيسيا وإنسان بيجين... وإنسان في الهند الصينية كما وجد بشمال إفريقيا الإنسان القفصي (le Capsien)، بتونس والعاتري (ولاية تبسة) وإنسان مشتة العربي (ولاية سطيف) والتيغنيفي (ولاية معسكر) والصحراوي.

أما الجديد في الأمر هو ما طالعتنا به مجلة الطبيعة الأمريكية المرموقة بتاريخ ومكان ظهور الإنسان العاقل «العصري» (الشكل رقم 1) وأثر مسيرته وانتشاره في القارات الخمس. كما هو مبين في خريطة القارات(الشكل رقم2).

ملحوظة: لا يمكن القطع واستنتاج أن هذه هي المسيرة الوحيدة في تاريخ الإنسانية لأن الباحثين تعبوا في شرح الأنواع الأخرى من البشر، خاصة تلك التي وجدت قبل ظهور الإنسان العاقل (أو حتى بعد ظهوره) وانقرضت مثل إنسان النياندرطال (Neanderthals). ومن بين الإشكاليات التي لازالت عالقة حتى بعد دراسة مجلة nature، لفك سر هذه المسيرة العظيمة وإعطائها المزيد من المصداقية: هل وجدت المسيرة بعدما انطلقت من الجزيرة العربية ومرت بشمال إفريقيا إنسانا عاقلا (مثل القفصي أو العاتري) استقبلها أم جاءوا هم أيضا مع الموكب وفضلوا الاستقرار بمنطقتنا؟ سؤال تصعب الإجابة عليه. كما طرح معدو الدراسة سؤالا مماثلا عند مرور القافلة بأوروبا.

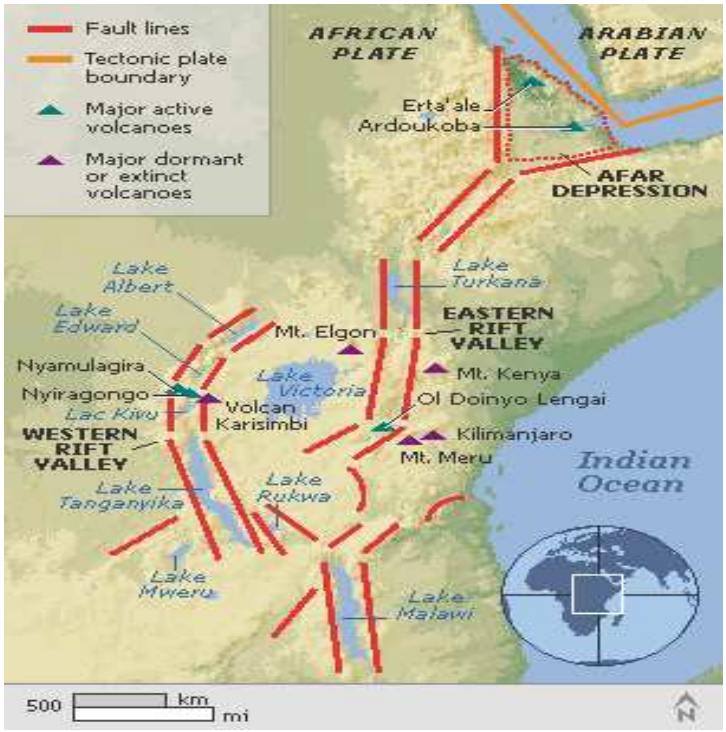

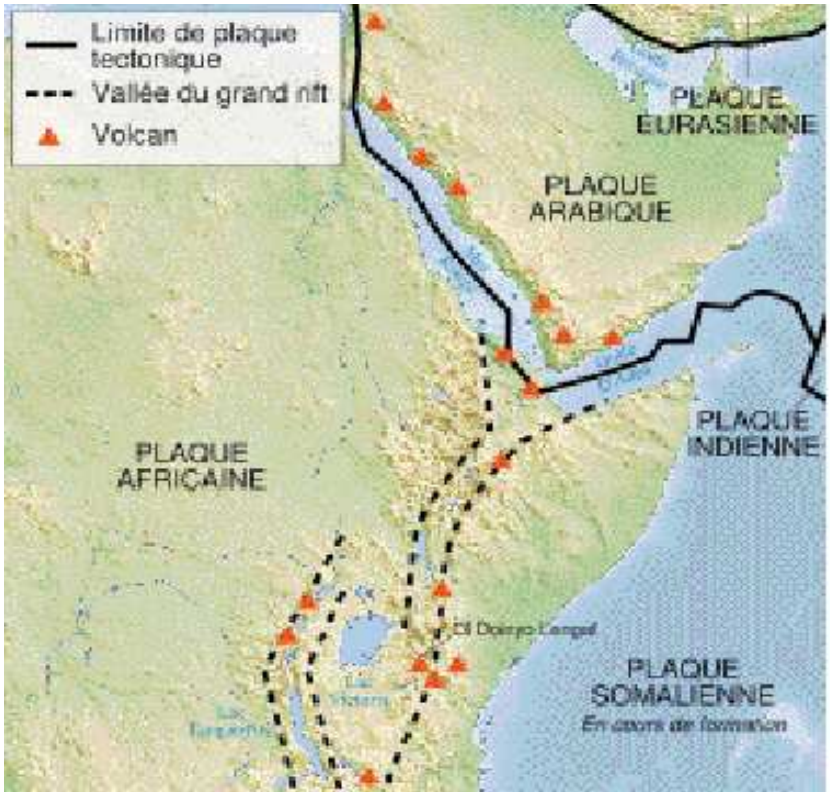

الأخدود الإفريقي

Rift Valley

الشكل 1: مهد وجود الإنسان العاقل الأول.

الهجرة الأولى للإنسان العاقل

إعمار كوكب الارض

إعمار كوكب الارض

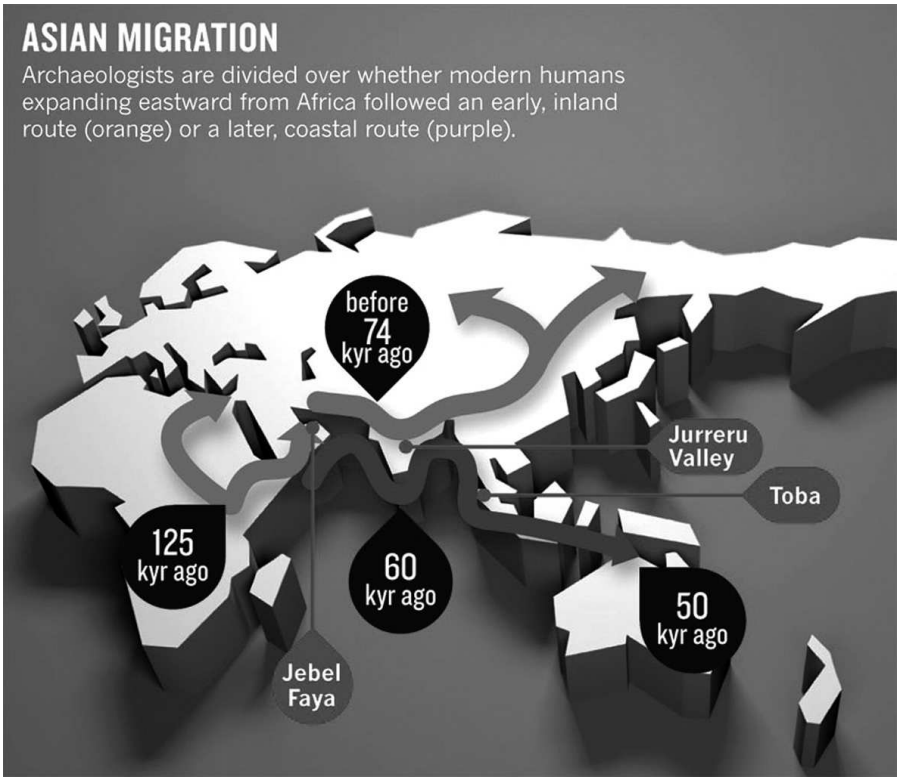

الشكل 2: خارطة الهجرة العظمى لإعمار القارات

(الانطلاقة من الجزيرة العربية قبل 125 ألف سنة تقريبا)

المقال: (مجلة الطبيعة Nature، 2 **ماي** 2012)

خطوة بخطوة عبر الكرة الأرضية

(globe the around step by Step)

أولا : في الشرق الأوسط (East Middle the Into) (قبل 125-100 الف سنة):

بدأت الرحلة حول الكرة الأرضية عندما غادر الإنسان «العصري» أفريقيا وعبر سيناء أو قاعدة البحر الأحمر، كما تبينه حيثيات وجدت في فلسطين واقترحت الاكتشافات التي تمت في شبه الجزيرة العربية في سنة 2011 على أنه قبل 125 ألف سنة وصل الإنسان العصري إلى عتبة بوابة آسيا. (الشكل رقم 1).

في شبه الجزيرة العربية، وجد مثل هذه الأدوات غير منتهية الصنع (شكل رقم 4) في جبل فايا بشبه الجزيرة العربية مما يقترح فرضية وصول الإنسان العصري هناك قبل 125 ألف سنة. يقول فريق دولي من الخبراء أنه يوجد تشابه بين الأدوات الحجرية، تعود بعضها إلى ما قبل 125 ألف سنة، وأدوات الإنسان الإفريقي العصري الذي أنجزها في نفس الفترة تقريبا. ويكون صناع هذه الأدوات قد قطعوا البحر الأحمر وهاجروا بعربات ثيران عبر شبه الجزيرة عندما كان المناخ مناسبا وربما ذهبوا للاستيطان بآسيا.

ثانيا: الانتشار في آسيا (expansion Asian)، (قبل 50 إلى 125 ألف سنة) :

قد يكون «الإنسان العصري» عبر إلى آسيا قبل 125 ألف سنة ووصل إلى الهند قبل انفجار بركان توبا قبل 74 ألف سنة، لكن هناك من يرى بأن الإنسان العصري لم يستقر في آسيا قبل 60 ألف سنة وانتشر بسرعة عبر ساحل المحيط الهندي.

ثالثا: الهجرة إلى أوروبا (قبل خمسين إلى عشرين ألف سنة) :

دلت الدراسات المكثفة باستخدام تقنيات أشعة الكربون أن تاريخ أقدم إنسان وصل إلى أوروبا يعود إلى حوالي خمس وأربعين ألف سنة بدلا من خمسة آلاف سنة كما كان يعتقد. وسُلِّطت الأضواء على متى وكيف تم التعامل مع إنسان النياندرطالي.

رابعا: الاستقرار بأمريكا (قبل عشرين إلى عشرة آلاف سنة) :

تشير نتائج الحفريات والآثار الوراثية أن الإنسان «العصري» وصل إلى سيبيريا وتركها ليصل شمال امريكا قبل 14 ألف سنة. كان ذلك في نهاية العصر الجليدي الأخير. ولازال الجدل جاريا بين الباحثين حول فرضية نزول المعمرين إلى أمريكا عبر وسط كندا أم التفوا حول السواحل الغربية مستعينين بزوارق للدخول لأمريكا. وهناك فرضية ثالثة تقول بأنهم جاؤوا بحرا مباشرة من أوروبا.

يقول العالم أنطوني ماركس عالم آثار ورئيس فريق من جامعة (Southern Methodist University) بدالاس إن تعاقب الأحداث لا يسمح بالتنقيب. ويتساءل» إذا كانوا قد غادروا إفريقيا قبل ستين ألف سنة ووصلوا أستراليا قبل خمسين ألف سنة – يا إلهي هل توقفوا لحظة واحدة عن الجري؟»

لا توجد شواهد وراثية واضحة حول المسلك الذي اتبعه الإنسان العصري لمغادرة إفريقيا. لكن الكهوف الموجودة في فلسطين يعود تاريخها إلى ثمانين أو مائة وعشرين الف سنة خلت. وبها شواهد ومخلفات تقترح طريقا شماليا سلكه هذا الإنسان على طول نهر النيل أو عبر الصحراء. ولعل أن هؤلاء المكتشفين الأوائل لم يغادروا المشرق. لكن علماء الآثار يفترضون وجود موجة ثانية سلكت طريقا مشابها.

أدوات حجرية غير مكتملة الصنع (الإمارات العربية المتحدة).

وجد بالماء الأبيض (ولاية تبسة) مثل هذه الأدوات مكتملة الصنع وتسمى بذات الوجهين (المترجم)

(*)http://www.nature.com/news/special-issue-peopling-the-planet-1.10561?WT.ec_id=NEWS-20120515

جزر أندمان: محطة توقّف فيها المهاجرون مع «رغبتهم في الالتفاف بآسيا»؟

(هل هذه الجزيرة هي التي أشار إليها ابن طفيل في ملحمته «حي بن يقظان»؟ المترجم)

The Andaman Islands: a stop for migrants ‘beach-hopping’ around Asia?

في إحدى الأيام قبل 74 ألف سنة في وادٍ غمرته الأوحال ولا تشرق فيها الشمس وكان غبار رمادي غطى أديم الأرض وأصبحت الأشجار كالأشباح.

إلى الشرق من ذلك كان هناك بركان طوبا في جزيرة سومطرا باندونيسيا قد ألقى بحممه في أكبر انفجار عرفه التاريخ على الإطلاق على المنطقة قاذفا بآلاف الكيلومترات المكعبة من الصخور في الجو وناشرا أكداسا من الرماد عبر جنوب آسيا.

درس كليف أوبنهايمر أخصائي البراكين من جامعة كامبريدج (المملكة المتحدة)، الرماد الذي سقط في وادي جوروريو الهندي لاستعادة الأحداث التي جرت هناك. تغيرت أوراق الأشجار إلى طبقات بيضاء وحولت الأمطار فيما بعد الرماد إلى طبقات كثيفة على مجرى الوادي.

وجرفت الأمطار فيما بعد الرماد إلى سفح الوادي وحولته إلى طبقات قطرها عدة أمتار.

ولعل الوحل والجزر قد اختفت الآن بسبب التغيرات الجوية. لكن حوَّل بركان طوبا غابة الأشجار إلى موطن لمرمى النفايات.

هناك ما يشهد على حدوث الكارثة: وجد علماء الآثار بين طبقات الرماد بها صناعات حجرية تدل على ان الإنسان عاش هنا قبل انفجار البركان. لكن هل كان هذا الانسان «عصريا» - إنسانا مثلنا- أم إنسانا آخر، من سلالة البشر ولكنه انقرض الآن.

تمثل أكداس الرماد الموجودة الآن بوادي جوريرو مصدر خلاف بين علماء الجيولوجيا وعلماء الآثار حول أكبر إشكالات هذا الميدان: متى ترك الإنسان العصري مهده الإفريقي ليأتي ليعمر آسيا أكبر القارات؟ كان ذلك أول توسع للجنس البشري نقل الناس إلى أستراليا أي حوالي 12 ألف كلم وكان ذلك قبل 50 ألف سنة. لكن الإشكالية التي لا تزال قائمة تتعلق بأول تاريخ استقرار هذا الإنسان العصري بآسيا! وما هي المسالك التي مر بها والأدوات التي كانت بحوزته وأصعب كل هذه التساؤلات: ما سبب قرار الهجرة من إفريقيا؟ هل جذبه هذا الموطن الشاسع واعتدال مناخه أم كان مدفوعا بثورة تكنولوجية وثقافية؟ (لعل السائل يفكر في حضارة مثل حضارة التاسيلي بالجزائر، المترجم)

انحسر اهتمام علماء الآثار حول سؤال واحد: هل وصل هذا الإنسان العصري قبل أو بعد انفجار بركان توبا بجزيرة سومطرا؟

على رأس أحد الفريقين يرى بول ميلار من جامعة كامبريدج بأن الإنسان العصري ترك أفريقيا ردحا طويلا بعد انفجار طوبا أي أنه غادر أفريقيا على أبعد تقدير قبل 60 ألف سنة وكان مزودا بتقنيات جديدة مثل الأقواس والسهام وتنقل بسرعة نسبيا عبر سواحل شبه الجزيرة العربية والهند والجنوب

الشرقي لآسيا ليصل بسرعة لأستراليا. وتشير تحاليل علماء الآثار إلى تواريخ متأخرة لاستيطان الأفارقة مما يدعم قول ميلار: «أنا متأكد أكثر من قبل بأنني على حق» قبل أن يضيف «أعتقد أن الجميع قال كذلك».

في الجانب الآخر يبقى نظيره ميشال بتراقليا ((Michel Petraglia من جامعة أُكسفورد (المملكة المتحدة) متيقن بأن البشر انتشر في آسيا على أقل تقدير قبل 74 ألف سنة وربما قبل ذلك في حدود 125 ألف سنة أي قبل انفجار طوبا بكثير في عصر كان المناخ رطبا في فترات بين العصور الجليدية. وكان مع المهاجرين (العرب- الأفارقة، المترجم) أدوات حجرية عادية.

وبدلا من اتباع الساحل، يعتقد بتراقيا بأنهم حاموا حول وديان الأنهار وسواحل البحيرات وكانوا يتقدمون وينسحبون كما تسمح البيئة بذلك على طريقة الحياة المتوحشة بدلا من حملة استيطان.

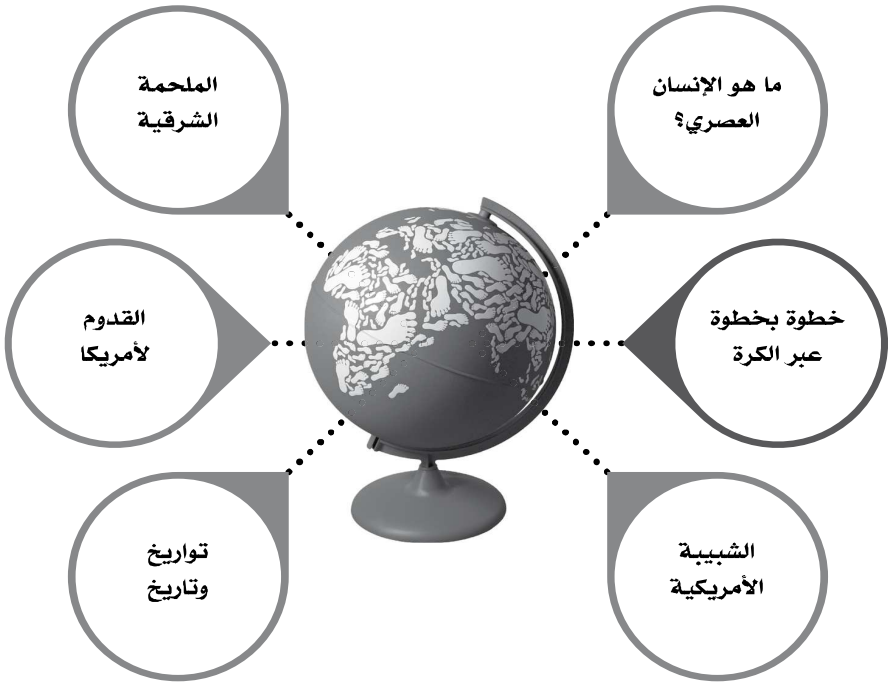

وازداد ثقة بالاكتشافات التي تمت في شبه الجزيرة العربية أي على عتبة الولوج لآسيا قبل 100 ألف سنة. «مع الزمن أزداد كل يوم أكثر ثقة برأيي»، أضاف ميشال قائلا.

يقول بتراقليا بأن معظم آسيا «هي خارطة بيضاء، أو إذا أردتم قولوا إنها لا زالت في عصر ما قبل التاريخ» قليل من المستحثات تدل على آثار إنسان قديم – الإنسان القائم، النياندرطال والدينيزوفان الذي تم اكتشافه حديثا- كانوا قد استفردوا بالقارة قبل مجيء الإنسان العصري. اعتمدت الأبحاث في أغلبها على دراسة الشفرة الوراثية (DNA) للسكان الحاليين لإعادة بناء القصة القديمة. كما اعتمد

علماء الوراثة على شفرة ميتوكندرال (mtDNA) – المورثة فقط من الأم. لتكوين عائلة من المهاجرين الأفارقة وتحديد تاريخ جذورها.

خلاصة (المترجم):

يتجه الباحثون نحو تحديد تاريخ 200 ألف سنة تقريبا محطة ظهور الإنسان العاقل لكن كل مرة يطالعنا العلماء بشيء جديد لم يبدد بعد من حيرتنا ولا زالت كل الاحتمالات واردة.

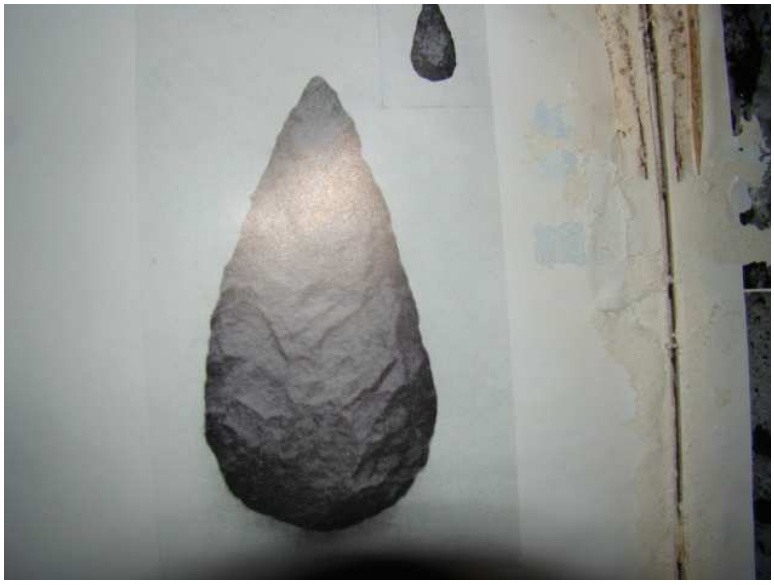

أداة آشولية «ذات الوجهين»، عصور ما قبل التاريخ، بجبل إلّيغان –منطقة التاسيلي
(in Libyca, anthropologie-préhistoire Ethnologie, Tome VIII-1960, p. 236)

رسوم حجرية فنية في العصور القديمة بمنطقة بني ميزاب.
(in Libyca, anthropologie-préhistoire Ethnologie, Tome VIII-1960, p. 300)

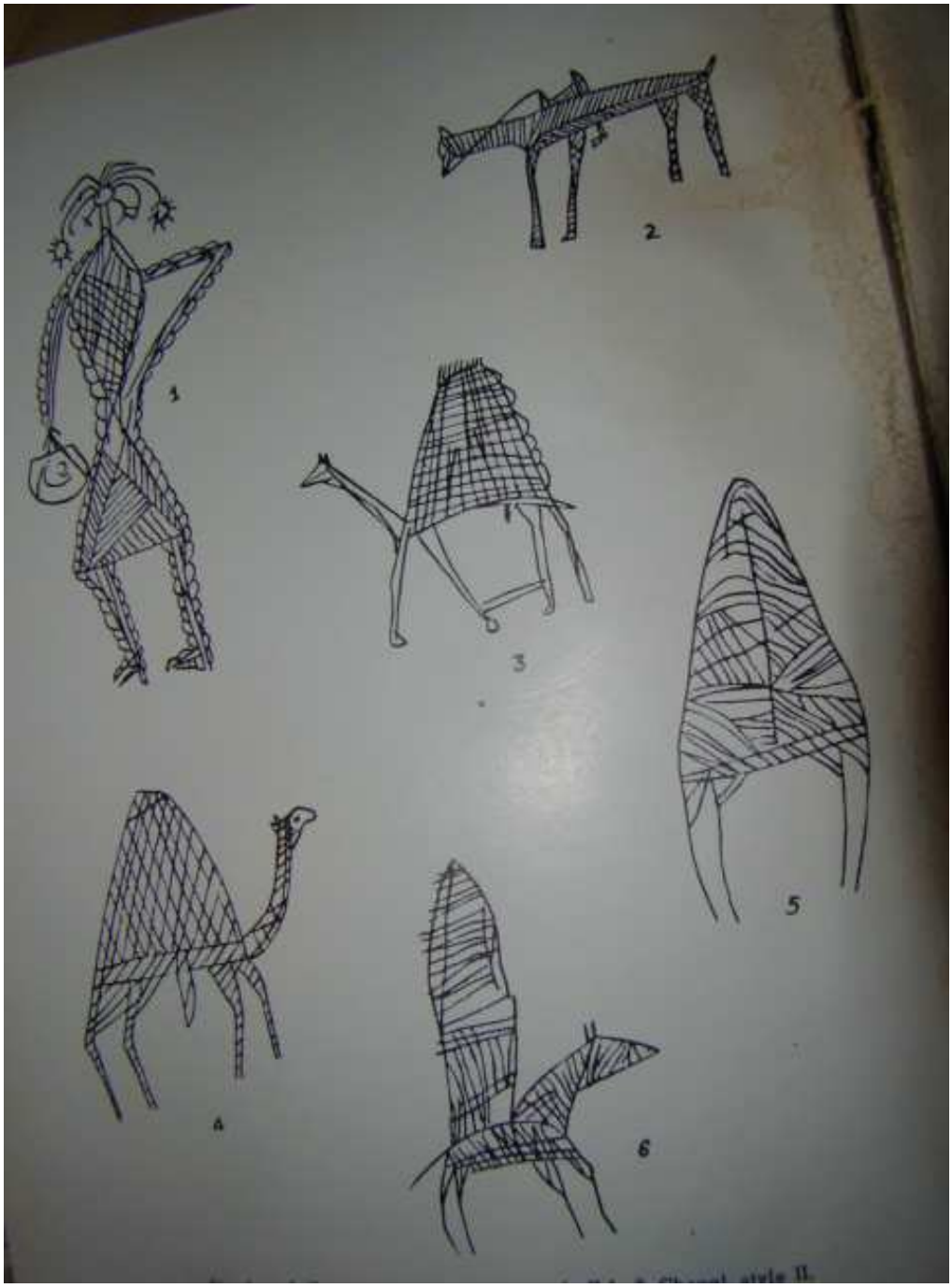

ر فنية حجرية فيسوم بمنطقة بني ميزبا رلعصوا القديمة.

(in Libyca, anthropologie-préhistoire Ethnologie, Tome VIII-1960, p. 300)